اتق الله حيثما كنت - 2

عباد الله: لا زلنا مع شرح قول الرسول .....اتق الله.....ونحن اليوم مع الوصية الثانية، وهي قوله: وأتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحسنةَ تمْحُها؛ أي: إذا عملتَ سيِّئَةً فأتبعها بحَسَنةٍ، فإنَّ الحسنات يُذهِبْنَ السيِّئات، ومن الحسنات بعد السيئات أن تتوبَ إلى الله من السيئات فإنَّ التوبة من أفضل الحسنات، كما قال الله عزَّ وجلَّ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ[البقرة]وقال الله تعالى: وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ [النور]وأعظمُ الحسنات الماحية للسيئات، حسنة التوبة؛ فإن التوبة حسنة عظيمة، وطاعة جليلة، بل التوبة تَجُبُّ ما قبلها، ومن تاب تاب الله عليه، ومهما عظم الذنب وكبُرت الخطيئة فإن من تاب توبة بشروطها تاب الله عليه؛ يقول الله تبارك وتعالى: قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً [الزمر]وقوله: لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، أي توبوا إلى الله وأنيبوا إليه سبحانه قبل حلول الأجل؛ فإنه يغفر الذنب مهما عُظُم، فهو جل وعلا لا يتعاظمه ذنب أن يغفره، ولا حاجة يُسألها أن يعطيها، فهو توابٌ رحيم، واسعٌ كريم، محسنٌ جوادٌ، جل شأنه، وعَظُم اسمه؛ ولهذا أيها الإخوة العناية بفعل الحسنات أمر عظيم، ومطلب جليل؛ ليكون مُذْهِبًا للسيئات، رافعًا للدرجات، معليًا للعبد مكانته في الدنيا والآخرة، والحسنات عباد الله مُطهرة للعبد من أدرانه وأقذاره وأوساخه، تطهره وتنقيه بإذن الله؛ يقول العلامة ابن القيم رحمه الله: لأهل الذنوب ثلاثةُ أنهارٍ عِظامٍ يتطهرون بها في الدنيا، فإن لم تَفِ بطُهرهم طُهِّروا في نهر الجحيم يوم القيامة، وهي نهر الحسنات الماحية، ونهر التوبة النصوح، ونهر المصائب المكفرة، فمن تطهر بها في الدنيا طهرته، وإلا فإن الله يطهره يوم القيامة بنهر في جهنم، أسأل الله لنا ولكم العافية في الدنيا والآخرة، وكذلك الأعمالُ الصَّالحةُ تكفِّر السيئات، كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: الصَّلواتُ الخَمْسُ، والجُمُعةُ إلى الجمعةِ، ورمضانُ إلى رمضان، مُكفِّراتٌ ما بينهنَّ إذا اجْتَنبَ الكبائر وقال: العُمْرةُ إلى العُمْرةِ كفَّارةٌ لما بينهما، فالحسنات يُذْهِبْنَ السيِّئات، ثم دعانا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عدم الاكتفاء بالعلاقة الخاصة بين العبد وربه، بل نبهنا إلى ما يمكن أن يغيب عنا من عناصر تقوى الله سبحانه وتعالى، وذلك فيما يتعلق بالعلاقة مع الناس، فقال: وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ، وهذا من خصال التقوى، ولا تَتِمُّ التقوى إلا به، وأكد عليه صلى الله عليه وسلم لأهميته، فعليك أخي المسلم بمُعامَلةِ الخَلْق معاملة طيبة، أنْ تُعاملهم بخُلُقٍ حسنٍ تُحْمدُ عليه ولا تُذَمُّ فيه، وذلك بطلاقةِ الوجهِ، وصِدقِ القول، وحُسْنِ المخاطبة، وغير ذلك من الأخلاق الحَسنَة، وقد جاءتِ النُّصوصُ الكثيرة في فضل الخُلق الحسن، حتى قال النبي عليه الصلاة والسلام: أكملُ المؤمنينَ إيمانًا أحسَنُهم خُلُقًا، وأخبر أن أولى الناس به صلي الله عليه وسلم وأقربهم منه منزلةً يوم القيامة أحسنهم أخلاقًا، فالأخلاق الحسنة مع كونها مسلكًا حسنًا في المجتمع ويكونُ صاحبُها محبوبًا إلى الناسِ فيها أجرٌ عظيمٌ ينالهُ الإنسانُ يوم القيامة، فاحفظوا أيها المسلمون هذه الوصايا الثلاثَ من النبي صلي الله عليه وسلم: اتَّقِ الله حيثما كنت، وأتبعِ السيئةَ الحسنةَ تمْحُها، وخالقِ النَّاس بخلقٍ حسَنٍ، فتُلاطف الناس وتبتسم في وجوههم وتَصبر عليهم وتتحمل أذاهم؛ فإن فاعل ذلك يرجى له في الدنيا الفلاح وفي الآخرة الفوز بالنجاة والنجاح، وروي أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قال لعلي رضي الله عنه: أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَكْرَمِ أَخْلَاقِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؟ أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَنْ تُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ، وَأَنْ تَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَكَ[رواه الطبراني في المعجم الأوسط]في هذا الحديث بيَّن النبي صلى الله عليه وسلم المعاملة بين الناس كيف تكون؛ فقال عليه الصلاة والسلام-: وخالق الناس بخلق حسن، أي عاملهم بالمعاملة الطيبة والأدب الرفيع والخلق الكريم، وضابط ذلك والجامع له، أن تعامل الناس بالشيء الذي تحب أن يعاملوك به، وأن تأتي إليهم ما تحب أن يأتوا إليك، فهذا جماع حسن الخلق؛ ولهذا قال صلى الله عليه وسلم-: لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه، وجاء عنه في حديث آخر أنه قال: وأن تأتي للناس الشيء الذي تحب أن يؤتى إليك، فانظر إلى المعاملة التي تريدها لنفسك، والخُلُق الذي تريد أن تُعامل به فعامل به الآخرين، فإن هذا هو جماع حسن الخلق، فليس منا من يرضى أن يعامل بالفظاظة والغلظة، وليس منا من يرضى أن يعامل بالغش والخيانة والخديعة، وليس منا من يرضى أن يعامل بالكذب والتدليس ونحو ذلك، فحسنُ الخلق عباد الله أن لا ترضى للناس الشيء الذي لا ترضاه لنفسك، وأن تحب لهم ما تحب لنفسك؛ ولهذا قال بعض العلماء في تعريف حسن الخلق: هو كف الأذى، وبذل الندى، كف الأذى عن الناس بأن لا يتعرض إليهم بأي نوع من أنواع الأذى، لا أذًى قولي، ولا أذًى فعلي، وبذل الندى بأن يعاملهم بالألفاظ الطيبة والأقوال الجميلة والمعاملات الحسنة التي يحب أن يعامل بها هو، وأقرب الناس يوم القيامة منزلة من النبي صلى الله عليه وسلم- أحاسنهم خُلقًا، كما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق، وقال عليه الصلاة والسلام: خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي، والأحاديث في هذا المعنى كثيرة عديدة، أسأل الله -جل وعلا- أن يرزقنا وإياكم تقواه في السر والعلانية، وأن يمنَّ علينا جميعًا بتوبة نصوحٍ، وأن يهدينا وإياكم لفعل الحسنات والإتيان بالطاعات، والتقرب إلى الله جل وعلا بما يرضيه من صالح الأقوال والأعمال، وأن يمنَّ علينا وعليكم بالخلق الكريم والأدب العظيم، أدب الشريعة، الذي أدب الله به نبيه صلوات الله وسلامه عليه وعلى من اقتدى به في عقيدته وعبادته وخلقه، اللهم اجعلنا من أتباعه حقًّا، ومن أنصاره صدقًا، ووفقنا للاقتداء به يا رب العالمين،

وصلى الله على نبينا محمد وعلى ءاله وأصحابه وأزواجه وذرياته ومن اهتدى بهديه وتمسك بسنته إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين.

خطبة الجمعة ليوم 02 ماي 2025 م